عِلْم البَيَان

التَّشْبيهُ

التَّشْبيهُ فِي اللُّغَةِ: التَّمْثيلُ.

وَحَقِيقَتُهُ: هُوَ إِلحَاقُ أَمْرٍ بِأَمْرٍ بِأَدَاةِ التَّشْبيهِ الجَامِعِ لَهَا.

أَرْكَانُهُ:

لِلتَّشْبيهِ أَرْبَعَةُ أَرْكَانٍ هِيَ: المُشَبَّهُ، وَالمُشَبَّهُ بِهِ، وَيُسَمَّيَانِ طَرَفَي التَّشْبِيهِ، وَأَدَاةُ التَّشْبيهِ، وَوَجْهُ الشَّبَهِ.

كَقَوْلِكَ: عَبْدُ اللهِ كَالأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

فَهَذَا المِثَالُ اشْتَمَلَ عَلَىٰ أَرْكَانِ التَّشْبيهِ كُلِّهَا، فَالمُشَبَّهُ (عَبْدُ اللهِ)، وَالمُشَبَّهُ بِهِ (الأَسَدِ)، وَالأَدَاةُ (الْكَافِ)، وَوَجْهُ الشَّبَهِ (الشَّجَاعَةِ).

أَدَوَاتُ التَّشْبيهِ:

أَدَوَاتُ التَّشْبيهِ هِيَ:

- إِمَّا اسْمٌ (مِثْلٌ وَمُمَاثِلٌ وَشَبَهٌ، وَمَا رَادَفَهَا).
- وَإِمَّا فِعْلٌ (يُشْبِهُ، وَيُمَاثِلُ، وَيُحَاكِي، وَيُضَارِعُ).
- وَإِمَّا حَرْفُ (الْكَافِ، وَكَأَن).

طَرَفَا التَّشْبِيهِ:

هُمَا المُشَبَّهُ وَالمُشَبَّهُ بِهِ، وَهُمَا الرُّكْنَانِ الأَسَاسِيَّانِ اللَّذَانِ لا يَحْتَمِلانِ السُّقُوطَ، فَلابُدَّ مِنْ ذِكْرِهِمَا مَعًا، إِذْ لَوْ حُذِفَ أَحَدُهُمَا لَمْ يُسَمَّ تَشْبِيهًا، أَمَّا الأَدَاةُ وَوَجْهُ

الشَّبَه فَكَثِيرٌ مَا يُحْذَفُ أَحَدُهُما أَوْ كِلاهُمَا، وَيَبْقَىٰ الْكَلامُ تَشْبِيهًا[١].

وَجْهُ الشَّبَه:

هِيَ الصِّفَةُ الْمُشْتَرَكَةُ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ، وَيَجِبُ أَنْ تَكُونَ أَقْوَىٰ وَأَظْهَرُ فِي الْمُشَبَّه بِهِ مِنْهُ فِي الْمُشَبَّه.

أَقْسَامُ التَّشْبِيهِ بِاعْتِبَارِ أَدَاتِه:

١ - التَّشْبِيهُ الْمُؤَكَّدُ: وَهُوَ مَا حُذِفَتْ أَدَاتُهُ نَحْوُ:

عَبْدُ اللهِ أَسَدٌ فِي الشَّجَاعَةِ.

٢ - التَّشْبِيهُ الْمُرْسَلُ: هُوَ مَا ذُكِرَتْ فِيهِ الأَدَاةُ، نَحْوُ:

عَبْدُ اللهِ كَالأَسَدِ فِي الشَّجَاعَةِ.

٣ - التَّشْبِيهُ الْبَلِيغُ: وَهُوَ مَا حُذِفَتْ فِيهِ أَدَاةُ التَّشْبِيهِ وَوَجْهُ الشَّبَه[٢]، نَحْوُ:

عَبْدُ اللهِ أَسَدٌ.

---

(١) طَرَفَا التَّشْبِيه (الْمُشَبَّهُ وَالْمُشَبَّهُ بِه)، يَنْقَسِمَا إِلَىٰ أَقْسَامٍ:

١ - حِسِّيَّان، أَيْ: مُدْرَكَانِ بِإِحْدَىٰ الْحَوَاسِ الْخَمْسِ، وَهِيَ: «الْبَصَرُ، وَالسَّمْعُ، والذَّوْقُ، واللَّمْسُ، وَالشَّمُّ»، نَحْو: عَبْدُ اللهِ كَالشَّمْسِ فِي الضِّيَاءِ.

٢ - عَقْلِيَّان، أَيْ: مُدْرَكَانِ بِالْعَقْلِ، نَحْو: الْجَهْلُ كَالْمَوْتِ.

٣ - إِمَّا الْمُشَبَّهُ حِسِّيّ وَالْمُشَبَّه بِهِ عَقْلِيّ، نَحْو: طَبِيبُ السُّوءِ كَالْمَوْتِ.

٤ - إِمَّا الْمُشَبَّهُ عَقْلِيّ وَالْمُشَبَّهُ بِهِ حِسِّيّ، نَحْو: الْعِلْمُ كَالنُّورِ.

(٢) مِنَ التَّشْبِيهِ الْبَلِيغِ الْمَصْدَرُ الْمُضَافُ الْمُبَيِّنُ لِلنَّوْعِ نَحْو: «رَاغَ رَوَغَانُ الثَّعْلَبِ»، وَمِنْهُ أَيْضًا: إِضَافَةُ الْمُشَبَّه بِهِ لِلْمُشَبَّه نَحْو: «لَبِسَ فُلانٌ ثَوْبَ الْعَافِيَةِ». انظُرْ «جَوَاهِرُ الْبَلاغَة» الْحَاشِيَة (ص ١٧٠).

التَّشْبِيهُ التَّمْثِيلِي

حَقِيقَتُهُ هُوَ: أَنْ يَكُونَ وَجْهُ الشَّبَهِ فيهِ صُورَةٌ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ.

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿**مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾**﴾ [البقرة: ١٧].

فَانْظُرْ، تَجِدْ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فيهِ صُورَةٌ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ، أَيْ أَنَّ حَالَ الْمُنَافِقِينَ فِي نِفَاقِهِمْ وَإِظْهَارِهِمْ خِلَافَ مَا يَسْتُرُونَهُ مِنْ كُفْرٍ، كَحَالِ مَنِ اسْتَوْقَدَ نَارًا لِيَسْتَضِيءَ بِهَا، ثُمَّ انْطَفَأَتْ فَلَمْ يُبْصِرْ بِهَا شَيْئًا.

وَغَيْرُ التَّمْثِيلِيِّ مَا كَانَ بِخِلَافِ ذَلِكَ، نَحْوُ: عَبْدُ اللهِ كَالْقَمَرِ فِي الضِّيَاءِ.

وَهَذَا مِثَالٌ آخَرُ يُعِينُكَ عَلَىٰ فَهْمِ التَّمْثِيلِ وَتَذَوُّقِهِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿**مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا**﴾ [الجمعة: ٥].

فَالْمُشَبَّهُ الْيَهُودُ، وَقَدْ كُلِّفُوا بِالتَّوْرَاةِ، وَالْقِيَامِ بِمَا فِيهَا مِنْ تَكَالِيفَ فِيهَا الْخَيْرُ لَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ أَعْرَضُوا عَنْهَا، وَلَمْ يَنْتَفِعُوا بِهَا، وَالْمُشَبَّهُ بِهِ الْحِمَارُ يَحْمِلُ الْأَسْفَارَ النَّفِيسَةَ.

وَوَجْهُ الشَّبَهِ صُورَةٌ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ مُتَعَدِّدٍ، فَأَنْتَ تَرَىٰ فِي هَذَا الْمِثَالِ وَجْهُ الشَّبَهِ لَيْسَ مُفْرَدًا، بَلْ مُنْتَزَعٌ مِنْ عِدَّةِ أُمُورٍ.

التَّشْبِيهُ الضِّمْنِيُّ

حَقِيقَتُهُ: هُوَ تَشْبِيهٌ لا يُوضحُ فِيِّ المُشَبَّهُ وَالمُشَبَّهُ بِهِ فِي صُورَةٍ مِنْ صُورِ التَّشْبِيهِ المَعْرُوفَةِ، بَلْ يُلْمَحَانِ فِي التَّرْكِيبِ.

كَقَوْلِ أَبِي تَمَّام:

لا تُنكِرِي عَطَلَ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَىٰ ... السَّيْلُ حَرْبٌ لِلْمَكَانِ الْعَالِي

يُرِيدُ أَبُو تَمَّامٍ أَنْ يَقُولَ لِمَنْ يُخَاطِبُهَا: لا تُنْكِرِي خُلُوَّ الرَّجُلِ الْكَرِيمِ مِنَ الْغِنَىٰ، فَإِنَّ ذَلِكَ لَيْسَ غَرِيبًا؛ لأَنَّ قِمَمَ الجِبَالِ وَهِيَ أَعْلَىٰ الأَمَاكِنِ لا يَسْتَقِرُّ فِيهَا مَاءُ السَّيْلِ، فَالْكَلامُ يُوحِي بِتَشْبِيهٍ ضِمْنِيٍّ، وَلَوْ صَرَّحَ لَهُ لَقَالَ مَثَلاً: إِنَّ الرَّجُلَ المَحْرُومَ الْغِنَىٰ يُشْبِهُ قِمَّةَ الجَبَلِ، وَقَدْ خَلَتْ مِنْ مَاءِ السَّيْلِ، وَلَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ صَرَاحَةً، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِجُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَضَمَّنَهَا هَذَا المَعْنَىٰ فِي صُورَةِ بُرْهَانٍ.

وَقَالَ - أَيْضًا -:

وَإِذَا أَرَادَ اللهُ نَشْرَ فَضِيلَةٍ ... طُوِيَتْ أَتَاحَ لَهَا لِسَانَ حَسُودِ

لَوْلا اشْتِعَالُ النَّارِ فِيمَا جَاوَرَتْ ... مَا كَانَ يُعْرَفُ طِيبُ عُرْفِ الْفُودِ

فَأَنْتَ تَجِدَ الشَّاعِرَ قَدْ فَصَّلَ المَعْنَىٰ فِي الْبَيْتِ الأَوَّلِ أَعْظَمَ تَفْصِيلٍ، وَفِي الْبَيْتِ الثَّانِي، ذَكَرَ أَنَّ الحَسُودَ سَبَبٌ فِي نَشْرِ الْفَضِيلَةِ المُغَيَّبَةِ أَلاَ تَرَىٰ هَذِهِ النَّارَ الَّتِي تَأْكُلُ الأَخْضَرَ وَالْيَابِسَ فِي كُلِّ مَا حَوْلَهُ.

وَلَوْ صَرَّحَ لَقَالَ مَثَلاً: أَنَّ الرَّجُلَ الحَاسِدَ يُشْبِهُ النَّارَ.

لَكِنَّهُ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ صَرَاحَةً، وَإِنَّمَا أَتَىٰ بِجُمْلَةٍ مُسْتَقِلَّةٍ وَضَمَّنَهَا هَذَا الْمَعْنَىٰ، فَأَنْتَ تُدْرِكُ أَنَّ هَذَا التَّشْبِيهَ لَمْ يَأْتِ عَلَىٰ صُورَةٍ مِنَ الصُّوَرِ الَّتِي عَرَفْتَهَا مِنْ قَبْلُ، وَلَكِنَّكَ تَلْمَحُ بِكُلِّ وُضُوحٍ أَنَّ هُنَاكَ تَشْبِيهًا رَائِعًا يَعْمَلُ فِي النَّفْسِ عَمَلَ السِّحْرِ.

التَّشْبِيهُ المَقْلُوبُ

حَقِيقَتُهُ: هُوَ جَعْلُ المُشَبَّه مُشَبَّهًا بِهِ بِادِّعَاءِ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فِيهِ أَقْوَىٰ وَأَظْهَرُ، كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

الْـوَرْدُ يَـحْـكِـي خَـــــــدَّهُ وَالرُّمْحُ يُـشْـبِـهُ قَـــدَّهُ

فَهَذَانِ (تَشْبِيهَانِ مَقْلُوبَانِ) أَصْلُهُمَا: خَدُّهُ يَحْكِي الْوَرْدَ، وَقَدُّهُ يُشْبِهُ الرُّمْحَ، فَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّ الْعَادَةَ فِي الْبَلاغَةِ عَلَىٰ تَشْبِيهِ الأَدْنَىٰ بِالأَعْلَىٰ، فَإِذَا جَاءَ الأَمْرُ عَلَىٰ خِلافِ ذَلِكَ فَهُوَ التَّشْبِيهُ المَعْكُوسُ أَوِ المَقْلُوبُ طَلَبًا لِلْمُبَالَغَةِ بِادِّعَاءِ أَنَّ وَجْهَ الشَّبَهِ فِي المُشَبَّهِ أَقْوَىٰ مِنْهُ فِي المُشَبَّهِ بِهِ.

وَهَذَا مَوْضِعٌ مِنْ عِلْمِ الْبَيَانِ حَسَنًا لِوَقْعِ لَطِيفِ المَأْخَذِ، فَأَنْتَ تَقُولُ فِي النُّجُومِ كَأَنَّهَا المِصْبَاحُ. ثُمَّ تَقُولُ فِي حَالَةٍ أُخْرَىٰ فِي المِصْبَاحِ: كَأَنَّهَا نُجُومٌ.

وَفِي ذَلِكَ فِي كَلامِ الْعَرَبِ كَثِيرٌ، فَهُمْ يُشَبِّهُونَ السُّيُوفَ عِنْدَ الانْتِضَاءِ بِالْبُرُوقِ، ثُمَّ يَعُودُونَ فَيُشَبِّهُونَ الْبَرْقَ بِالسُّيُوفِ المُنْتَضَاةِ.

وَهُنَا شَرْطٌ لابُدَّ مِنْهُ فِي اسْتِعْمَالِ التَّشْبِيهِ المَقْلُوبِ، أَلاَّ يَرِدُ إِلاَّ فِيمَا جَرَىٰ عَلَيْهِ الْعُرْفُ، وَالإِلْفُ لَدَىٰ الْعَرَبِ، وَذَلِكَ حَتَّىٰ تَظْهَرَ بِوُضُوحٍ صُورَةُ الْقَلْبِ، فَإِذَا لَمْ يَتَحَقَّقْ هَذَا الشَّرْطُ كَانَ الْقَلْبُ مُبَالَغًا، بَلْ قَبِيحًا.

بلاغة التشبيه

بلاغة التشبيه كثيرة، فمنها:

١ - تزيين المشبَّه أو تقبيحه:

كقول ابن الرومي:

تقول: هذا مجاج النحل تمدحه ... وإذا ذممت فقل: قيء الزنابير

مدح وذم وما غيرت من صفة ... سحر البيان يري الظلماء كالنور

٢ - بيان إمكانه إذا كان غريبًا لا يُمكن فهمه وتصوره إلا بالمثال:

كقول البحتري:

دنوت تواضعًا وعلوت مجدًا ... فشأنك انحدار وارتفاع

كذلك الشمس تبعد أن تسامي ... ويدنو الضوء منها والشعاع

٣ - بيان حاله إذا كان غير معروف الصفة:

كقول النابغة يمدح النعمان:

كأنك شمس والملوك كواكب ... إذا طلعت لم يبد منهن كوكب

٤ - تقرير حاله في نفس السامع بإبرازها فيما هو فيه أظهر وأقوى:

كقولك لولدك الذي يتمنى أن يكون عالمًا وهو لا يسعى للعلم:

تريدني لقيان المعالي رخيصة ... ولابد دون الشهد من إبر النحل

٥ - بَيانُ مِقْدار حَالِي المُشَبَّه:

أيْ مِقْدَارِ حَاله مِنَ الْقُوَّة وَالضَّعْف، وَالزِّيَادَة وَالنُّقْصَان - إذَا كَانَ مَعْرُوفَ الصِّفَة قَبْلَ التَّشْبِيه مَعْرِفَةً إجْمَالِيَّةً كَقَول الأَعْشَىٰ:

كَأَنَّ مِشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا ... مَرَّ السَّحَابَةِ لا رَيْثٌ وَلا عَجَلُ

٦ - تَشْوِيهُ المُشَبَّه وَذَمِّه لِيُكْرَهَ وَيُرْغَبَ عَنْهُ:

كَقَوْلِ المُتَنَبِّي فِي الهِجَاء:

وَإِذَا أَشَارَ مُحَدِّثًا فَكَأَنَّهُ ... قِرْدٌ يُقَهْقِهُ أَوْ عَجُوزٌ تَلْطُمُ

وَمِثْلُهُ قَوْلُ أَعْرَابِيٍّ فِي ذَمِّ امْرَأَته:

وَتَفْتَحُ - لا كَانَتْ - فَمًا لَوْ رَأَيْتَهُ ... تَوَهَّمْتَهُ بَابًا مِنَ النَّارِ يُفْتَحُ

وَخُلاصَةُ فَوَائِدِ التَّشْبِيه:

إمَّا التَّنْفِيرُ مِنَ المُشَبَّه أَوْ تَحْسِينُهُ، أَوْ بَيَانُ إمْكَانِه، أَوْ بَيَانُ مِقْدَارِه، أَوْ تَقْرِيرُ الحَالِ بِضَرْبِ المِثَالِ.

الْكِنَايَةُ

الكِنَايَةُ لُغَةً: أَنْ تَتَكَلَّمَ بِالشَّيْءِ وَتُرِيدُ غَيْرَهُ.

وفي الاصْطِلاحِ: بِأَنْ تُرِيدَ المَعْنَىٰ وَتُعَبِّرَ عَنْهُ بِغَيْرِ لَفْظِه.

أَقْسامُ الْكِنَايَةِ:

١ - كِنَايَةٌ عَنْ صِفَةٍ: (١)

كَقَوْلِ الخَنْسَاءِ فِي رِثَاءِ أَخِيهَا صَخْر:

طَوِيلُ النِّجَادِ، رَفِيعُ الْعِمَادِ كَثِيرُ الرَّمَادِ إِذَا مَا شَتَا

فَهَذِهِ ثَلاثُ كِنَايَاتٍ عَنْ ثَلاثِ صِفَاتٍ:

الأُولَىٰ - كِنَايَةٌ عَنِ الطُّولِ، وَهِيَ: طَوِيلُ النِّجَادِ.

الثَّانِيَةُ - كِنَايَةٌ عَنِ السُّؤْدَدِ وَالرِّيَاسَةِ، وَهِيَ: رَفِيعُ الْعِمَادِ.

وَالثَّالِثَةُ - عَنِ الْكَرَمِ وَهِيَ: كَثِيرُ الرَّمَادِ.

٢ - كِنَايَةٌ عَنْ مَوْصُوفٍ: (٢)

كَقَوْلِهِ - تَعَالَىٰ -: ﴿**أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ** ﴿١٨﴾﴾ [الزُّخْرُف: ١٨].

---

(١) ضَابِطُ الْكِنَايَةِ عَنِ الصِّفَةِ أَنْ تَذْكُرَ المَوْصُوفَ وَتَنْسِبَ لَهُ صِفَةً، وَلَكِنَّكَ لا تُرِيدُ هَذِهِ الصِّفَةَ، إِنَّمَا تُرِيدُ لازِمَهَا، فَفِي قَوْلِكَ: «فُلانٌ كَثِيرُ الرَّمَادِ»، ذِكْرٌ لِلْمَوْصُوفِ، وَهُوَ فُلانٌ، وَذِكْرٌ لِصِفَاتِه، وَهِيَ كَثْرَةُ الرَّمَادِ، وَلَكِنَّكَ لَمْ تُرِدْ هَذِهِ الصِّفَةَ نَفْسَهَا، بَلْ أَرَدْتَ صِفَةً لازِمَةً لَهَا وَهِيَ الْكَرَمُ؛ لأَنَّ كَثْرَةَ الرَّمَادِ تَنْشَأُ مِنْ كَثْرَةِ النَّارِ، وَهَذِهِ تَنْشَأُ مِنْ كَثْرَةِ الحَطَبِ، وَهِيَ تَنْشَأُ عَنْ كَثْرَةِ الطَّبْخِ، وَذَلِكَ نَتِيجَةَ كَثْرَةِ الضُّيُوفِ، وَالْكَرَمُ لازِمٌ لِذَلِكَ.

(٢) ضَابِطُ الْكِنَايَةِ عَنِ المَوْصُوفِ أَنْ تَذْكُرَ الصِّفَةَ وَالنِّسْبَةَ، وَلا تَذْكُرَ المَوْصُوفَ المَكْنِيَ عَنْهُ، وَلِلْعِلْمِ أَنَّ الصِّفَةَ فِي الْقِسْمِ الأَوَّلِ كَانَتْ كِنَايَةً عَنْ صِفَةٍ أُخْرَىٰ هِيَ الْكَرَمُ، وَأَمَّا الصِّفَةُ فِي هَذَا الْقِسْمِ فَإِنَّ الْغَرَضَ مِنْ ذِكْرِهَا أَنْ تَتَوَصَّلَ إِلَىٰ المَوْصُوفِ المَحْذُوفِ المَكْنِيِّ عَنْهُ.

فَفي الآيَة الْكَرِيمَة كِنَايَةٌ، فَاللَّفْظُ المكَنَّىٰ وَهُوَ قَوْلُهُ: ﴿أَوَ مَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ﴾ وَأَمَّا الْمُكَنَّىٰ عَنْهُ فَهُوَ الْفَسَادُ، أَلا تَرَىٰ أَنَّ الَّذي كَنَّىٰ بِهِ عَنِ النِّسَاءِ لَيْسَ في الحَقِيقَةِ إلاَّ صِفَة لَهُنَّ، وَإِذَا نَظَرْتَ إِلَىٰ الصِّفَةِ وَهِي التَّنْشِئَةُ فِي الحِلْيَةِ وَجَدْتَهَا مُخْتَصَّةً بِالنِّسَاءِ.

٣ - كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةٍ:

كَقَوْلِكَ:

فُلانٌ المَجْدُ بَيْنَ ثَوْبَيْهِ وَالْكَرَمُ مِلْءَ بُرْدَيْهِ

فَأَنْتَ تَرَىٰ أَنَّ الصِّفَةَ وَالمَوْصُوف مَذْكُورَتَان مُفصلاً نَسَبًا، هَذه الصِّفَةُ لِصَاحِبِهَا إِنَّمَا نَسَبَهَا لِشَيْءٍ آخَرَ (البُرْدَيْنِ وَالثَّوْبَيْنِ)، وَفِي ذَلِكَ كِنَايَةٌ عَنْ نِسْبَةِ المَجْدِ وَالْكَرَمِ إِلَىٰ المَمْدُوحِ.

وَتَنْقَسِمُ كِنَايَةُ النِّسْبَةِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ:

الأَوَّلُ - مَا كَانَتِ الْكِنَايَةُ فِيهِ إِثْبَاتًا:

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

لا يَنْزِلُ المَجْدُ إلاَّ فِي مَنَازِلِنَا كَالنَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَىً سِوَىٰ المُقَلِ

فَتَأَمَّلْ تَجِدْ فِي الشَّرْطِ الأَوَّلِ كِنَايَةً يُرَادُ بِهَا نِسْبَة، وَهِيَ: إِثْبَاتُ المَجْدِ لَهُمْ، فَقَدْ قَصَرَ نُزُولَ المَجْدِ عَلَىٰ مَنَازِلِهِمْ، إِنَّمَا هُوَ لإِثْبَاتِ المَجْدِ لَهُمْ.

الثَّانِي - مَا كَانَتِ الْكِنَايَةُ فِيهِ نَفْيًا:

كَقَوْلِ الشَّاعِرِ:

يَبِيتُ بِمنجَاةٍ مِنَ اللَّوْمِ بَيْتُهَا إِذَا مَا بُيُوتٌ بِالمَلامَةِ حُلَّتِ

فَأَنْتَ تَجِد أَنَّ فِي الْبَيْتِ وَصْفٌ لِلْمَرْأَةِ بِالْعِفَّةِ، وَنَفْي المَلامِ عَنْهَا، وَلَمْ يُصَرِّحْ بِهَذَا، بَلْ نَفَىٰ نِسْبَةَ اللَّوْمِ عَنْ بَيْتِهَا.

مِنْ فَوَائِدِ الْكِنَايَةِ:

١ - الاحترازُ مِنْ بَشَاعَةِ الأَلْفَاظِ:

كَمَا فِي الْكِنَايَاتِ عَنِ الْجِمَاعِ بِالإِفْضَاءِ، وَالْغَشَيَانِ، وَاللَّمْسِ.

قَالَ اللهُ - سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ -: ﴿ **وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ** ﴾ [النِّسَاء: ٢١].

وَقَالَ - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلاً خَفِيفًا** ﴾ [الأَعْرَاف: ١٨٩].

٢ - تَهْذِيبُ النُّفُوسِ لِتَتَعَلَّمَ الأَدَبَ:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ - : ﴿ **مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلانِ الطَّعَامَ** ﴾ [المَائِدَة: ٧٥].

وَالْكِنَايَةُ - أَخِي - كَمَا عَرَفْتَ بِأَنْ تُرِيدَ المَعْنَىٰ تُعَبِّر عَنْهُ بِغَيْرِ لَفْظِه، وَمَاذَ يَنْتُجُ عَنِ الأَكْلِ، إِنَّهُ التَّغَوُّطُ، وَلَكِن الْقُرْآنَ الْكَرِيم عَبَّرَ بِالأَكْلِ عَمَّا بَعْدَهُ، فَمَا أَبْدَعَ هَذَا الأُسْلُوب.

٣ - التَّحَسُّرُ:

كَقَوْلِه - تَعَالَىٰ -: ﴿ **فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ** ﴾ [الْكَهْف: ٤٢].

فَهَذِه كِنَايَةٌ عَنِ النَّدَمِ؛ لأَنَّ النَّادِمَ يَفْعَلُ ذَلِكَ عَادَةً.

٤ - الإِيجَازُ:

كَقَوْلِه - ﷺ -: «**رُوَيْدُكَ سَوْقُكَ بِالْقَوَارِيرِ**»، يُرِيدُ بِذَلِكَ النِّسَاء، فَكَنَّىٰ عَنْهُنَّ بِالْقَوَارِيرِ بِأَلْطَفِ عِبَارَةٍ وَأَوْجَزِ إِشَارَةٍ.

٥ - تستغني عن التصريح بالتلميح:

كَقَوْلِ إحْدَىٰ النِّسَاءِ لِعَائِشَةَ - رضي الله عنها - أُقَيِّدُ حَمَلِي؟. فَقَالَتْ عَائِشَةُ: لا، أَرَادَتِ الْمَرْأَةُ أَنْ تَصْنَعَ لِزَوْجِهَا شَيْئًا يَمْنَعُهُ مِنْ غَيْرِهَا، أَيْ تَرْبِطَهُ عَنْ أَنْ يَأْتِي غَيْرَهَا، فَظَاهِرُ هَذَا اللَّفْظِ هُوَ تَقْيِيدُ الْجَمَلِ، وَبَاطِنُهُ مَا أَرَادَتْهُ الْمَرْأَةُ وَفَهِمَتْهُ عَائِشَةُ - رضي الله عنها -.

وَمِنْ خِلالِ مَا سَبَقَ يَتَبَيَّنُ لَكَ أَنَّ الْكِنَايَةَ مَظْهَرٌ مِنْ مَظَاهِرِ الْبَلاغَةِ، وَغَايَةٌ لا يَصِلُ إِلَيْهَا إِلاَّ مَنْ لَطُفَ طَبْعُهُ وَصَفَتْ قَرِيحَتُهُ، وَالسِّرُّ فِي بَلاغَتِهَا أَنَّهَا فِي صُورَةٍ يَسِيرَةٍ تُعْطِيكَ الْحَقِيقَةَ مَصْحُوبَةً بِدَلِيلِهَا، وَالْقَضِيَّةَ فِي طَيِّهَا بُرْهَانَهَا، كَقَوْلِ الْبُحْتُرِيِّ فِي الْمَدِيحِ:

يَغُضُّونَ فَضْلَ الْحَظِّ مِنْ حَيْثُ مَا بَدَا ... لَهُمْ مِمَّنْ مَهِيبٍ فِي الصُّدُورِ مُحَبَّبِ

فَإِنْ كَنَّىٰ عَنْ إِكْبَارِ النَّاسِ لِلْمَمْدُوحِ وَهَيْبَتِهِمْ إِيَّاهُ بِغَضِّ الأَبْصَارِ الَّذِي هُوَ فِي الْحَقِيقَةِ بُرْهَانٌ عَلَىٰ الْهَيْبَةِ وَالإِجْلالِ، وَتَظْهَرُ هَذِهِ الْخَاصَّةُ جَلِيلَةً عَنِ الْكِنَايَاتِ عَنِ الصِّفَةِ وَالنِّسْبَةِ (١).

ومِنْ أَسْبَابِ بَلاغَةِ الْكِنَايَةِ: أَنَّهَا تَضَعُ لَكَ الْمَعَانِي فِي صُورَةِ الْمَحْسُوسَاتِ، وَلا شَكَّ أَنَّ هَذِهِ خَاصَّةُ الْفُنُونِ، فَإِنَّ الْمُصَوِّرَ إِذَا رَسَمَ لَكَ صُورَةً لِلأَصْلِ بَهَرَكَ وَجَعَلَكَ تَرَىٰ مَا كُنْتَ تَعْجَزُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهُ وَاضِحًا مَلْمُوسًا، فَمِثْلُ: «كَثِيرُ الرَّمَادِ» فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الْكَرَمِ، وَ«رَسُولُ الشَّرِّ» فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الْمِزَاحِ.

وقَوْلُ الْبُحْتُرِي:

أَوَمَا رَأَيْتَ الْمَجْدَ أَلْقَىٰ رَحْلَهُ ... فِي آلِ طَلْحَةَ ثُمَّ لَمْ يَتَحَوَّلِ

---

(١) انظر «الْبلاغة الواضحة» (ص١٣١، ١٣٢).

فِي الْكِنَايَةِ عَنْ نِسْبَةِ الشَّرَفِ إِلَىٰ آلِ طَلْحَةَ، كُلُّ أُولَئِكَ يُبْرِزُ لَكَ الْمَعَانِي فِي صُورَةٍ تُشَاهِدُهَا وَتَرْتَاحُ نَفْسُكَ إِلَيْهَا.

وَمِنْ خَوَاصِ الْكِنَايَةِ أَنَّهَا تُمَكِّنُكَ مِنْ أَنْ تَشْفِيَ غُلَّتَكَ مِنْ خَصْمِكَ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَجْعَلَ لَهُ إِلَيْكَ سَبِيلاً، وَدُونَ أَنْ تَخْدِشَ وَجْهَ الأَدَبِ، وَهَذَا النَّوْعُ يُسَمَّىٰ بِالتَّعْرِيضِ، وَمِثَالُهُ: قَوْلُ الْمُتَنَبِّي فِي قَصِيدَةٍ يَمْدَحُ بِهَا كَافُوراً، وَيُعَرِّضُ بِسَيْفِ الدَّوْلَةِ:

رَحَلْتُ فَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ شَادِنٍ ... عَلَيَّ وَكَمْ بَاكٍ بِأَجْفَانِ ضَيْغَمِ
وَمَا لِرَبَّةِ الْقُرْطِ الْمَلِيحِ مَكَانَةٌ ... بِأَجْزَعَ مِنْ رَبِّ الْحُسَامِ الْمُعَمَّمِ
فَلَوْ كَانَ مَا بِي مِنْ حَبِيبٍ مُقَنَّعٍ ... تَمَدَّرْتُ وَلَكِنْ مِنْ حَبِيبٍ مُعَمَّمِ
رَمَىٰ وَاتَّقَىٰ رَمْيِي وَمِنْ دُونِ مَا اتَّقَىٰ ... هَوَىٰ كَاسِرٌ كَفِّي وَقَوْسِي وَأَسْهُمِي
إِذَا سَاءَ فِعْلُ الْمَرْءِ سَاءَتْ ظُنُونُهُ ... وَصَدَّقَ مَا يَعْتَادُهُ مِنْ تَوَهُّمِ

فَإِنَّهُ كَنَّىٰ عَنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ أَوَّلاً بِالْحَبِيبِ الْمُعَمَّمِ، ثُمَّ وَصَفَهُ بِالْغَدْرِ الَّذِي يَدَّعِي أَنَّهُ مِنْ شِيمَةِ النِّسَاءِ، ثُمَّ لامَهُ عَلَىٰ مُبَادَأَتِهِ بِالْعُدْوَانِ، ثُمَّ رَمَاهُ بِالْجُبْنِ؛ لأَنَّهُ يَرْمِي وَيَتَّقِي الرَّمْيَ بِالاسْتِتَارِ خَلْفَ غَيْرِهِ، عَلَىٰ أَنَّ الْمُتَنَبِّي لا يُجَازِيهِ عَلَىٰ الشَّرِّ بِمِثْلِهِ؛ لأَنَّهُ لا يَزَالُ يَحْمِلُ لَهُ بَيْنَ جَوَانِحِهِ هَوَىً قَدِيمًا يَكْسِرُ كَفَّهُ وَقَوْسَهُ وَأَسْهُمَهُ إِذَا حَاوَلَ النِّضَالَ، ثُمَّ وَصَفَهُ بِأَنَّهُ سَيِّئُ الظَّنِّ بِأَصْدِقَائِهِ؛ لأَنَّهُ سَيِّئُ الْفِعْلِ كَثِيرُ الأَوْهَامِ وَالظُّنُونِ، حَتَّىٰ لا يَظُنَّ أَنَّ النَّاسَ جَمِيعًا مِثْلَهُ فِي سُوءِ الْفِعْلِ، وَضَعْفِ الْوَفَاءِ.

فَانْظُرْ كَيْفَ نَالَ الْمُتَنَبِّي مِنْ سَيْفِ الدَّوْلَةِ هَذَا النَّيْلَ كُلَّهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَذْكُرَ مِنِ اسْمِهِ حَرْفًا.

هَذَا وَمِنْ أَوْضَحِ مِيزَاتِ الْكِنَايَةِ التَّعْبِيرُ عَنِ الْقَبِيحِ بِمَا تُسِيغُ الآذَانُ سَمَاعَهُ، وَأَمْثِلَةُ ذَلِكَ كَثِيرَةٌ جِدًّا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَكَلامِ الْعَرَبِ، فَقَدْ كَانُوا لا يُعَبِّرونَ عَمَّا لا يَحْسُنُ ذِكْرُهُ إِلاَّ بِالْكِنَايَةِ، وَكَانُوا لِشِدَّةِ نَخْوَتِهِمْ يُكْنُونَ عَنِ الْمَرْأَةِ بِالْبَيْضَةِ وَالشَّاةِ.

وَمِنْ بَدَائِعِ الْكِنَايَةِ قَوْلُ بَعْضِ الْعَرَبِ:

أَلا يَا نَخْلَةً مِنْ ذَاتِ عِرْقٍ ... لا مَا عَدَا يَنْعَتُهُ بَائِعُهُ

فَإِنَّهُ كَنَىٰ بِالنَّخْلَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ الَّتِي يُحِبُّهَا.

وَلَعَلَّ هَذَا الْمِقْدَارُ كَافٍ فِي بَيَانِ خَصَائِصِ الْكِنَايَةِ وَإِظْهَارِ مَا تَضَمَّنَتْهُ مِنْ بَلاغَةٍ وَجَمَالٍ.